«نوستالجيا» ديانا شمعونكي في غاليري «الأورفلي» بعمان:

رصد حميمي للأمكنة ووجوه البشر ومساحة كبرى للقدس وتفاصيلها الغنية

عمان ـ «القدس العربي» ـ من يحيى القيسي:

يحتضن غاليري الأورفلي بعمان هذه الأيام معرضا خاصا بلوحات الفنانة الأردنية المقدسية معا (ديانا حجار شمعونكي)، وهي من الجيل الذي ظهر خلال الستينيات من القرن الماضي بقوة، وقد تلقت الدروس المبكرة في التلوين والرسم على يد الفنان الإيطالي أرماندو، والفنان الأردني الرائد مهنا الدرة، ثم توجهت للدراسة في هذا المجال وأخذت بعض الدورات المتخصصة، وساهمت إقامتها المطولة في الولايات المتحدة وبعض الدول الأجنبية في صقل موهبتها، كما التحقت في بعض الدورات الفنية المتخصصة في مجال الرسم بجامعة مونتغمري الأمريكية، كما نشطت في مجال إعطاء محاضرات في الرسم وعن الفن في الأردن للجاليات والسفارات الأجنبية في أمريكا، وإنجاز برامج منتظمة للتعريف بالفن في الأردن والعالم العربي، وتقول سيرتها العملية الحافلة بأنها أقامت أول معرض لها في عمان في عام 1965 ومنذ ذلك التاريخ وهي تواصل إقامة المعارض الشخصية، وتشارك في المعارض الجماعية، وقد اقتنت أعمالها العديد من المتاحف العالمية والشخصيات المرموقة، ويبدو معرض شمعونكي هذا استعادة لحنين غامر لأيام مضت، فهي تنشغل فيه من خلال الألوان الزيتية، والأسلوب التعبيري برصد لمحات من المدن التي تركت مساحة كبرى في روحها أولا، وفي بصرها ثانيا، ولهذا نراها تحتفي بالقدس وقبابها ومنائرها وأجراسها، وبعمان، والكرك، وصويلح، وقصر عمرة، وبيت لحم، وأم الكندم، مثلما تنتبه للتفاصيل التعبيرية المؤثرة لوجوه الناس، وهي هنا لا تنقل ما ترى على أساس فوتوغرافي بل تضفي عليه من رؤيتها الخاصة، وهذا ما يمنح اللوحة جمالياتها، لا سيما وهي تتقن اشتغالها باللون الزيتي اساسا، ووتحترف توجيه الفرشاة بكل اتقان.

إن أعمالها تعيد لنا النظر بأهمية المدرسة التعبيرية في التشكيل وتفاعل المتلقي معها، في الوقت الذي أغرقنا فيه بالتجريد العشوائي، غير القائم على منجز، بحيث ظهر الكثير من الفنانين والفنانات الذين توجهوا مباشرة نحو التجريد دون أن يكونوا قد تأسسوا جيدا في الجانب التقليدي الرزين في الرسم والتلوين، وهكذا يبدو بأن الفنانة شمعونكي تستطيع الذهاب إلى التجريد ـ إن رغبت ـ مطمئنة إلى منجزها الراسخ.

تقول في شهادة لها عن تجربتها «للفن والرسم عندي حب كبير في حياتي، واللوحة ليست ديكوراً، انها تعبر عني حقيقة، وأسجل فيها تأملاتي، وخيالي، أحمل مفهوم الإنسان البسيط والصريح والواضح المعاني، وأعتمد على الحدس والحس من اجل ضمان الحوار، فالعيون هي سراج الجسد مائل في لغة عفوية أو مرفوع في شموخ وعزة، و كل شيء يتطور إلى رمز من ضربات الريشة التي تعكس الموتيفات بمساعدة الألوان التي أحبها وأستعملها ما عدا الأسود فيما يندر.

أحب رسم المدن، أعمل المدن مسطحة أحيانا بألوان مختلفة عن لونها الحقيقي بذلك أسجل احتجاجي على ما يحيط بي، وأتحداه، أطور المنظر حسب تفاعلي معه، ولا أكتفي بالمنظر والتقيد به، بل أتخطاه إلى الاكتشاف وإظهار الداخل المهم والرمزي في المنظر. أحيانا أصل إلى التجريد للوصول إلى الغاية المرجوة».

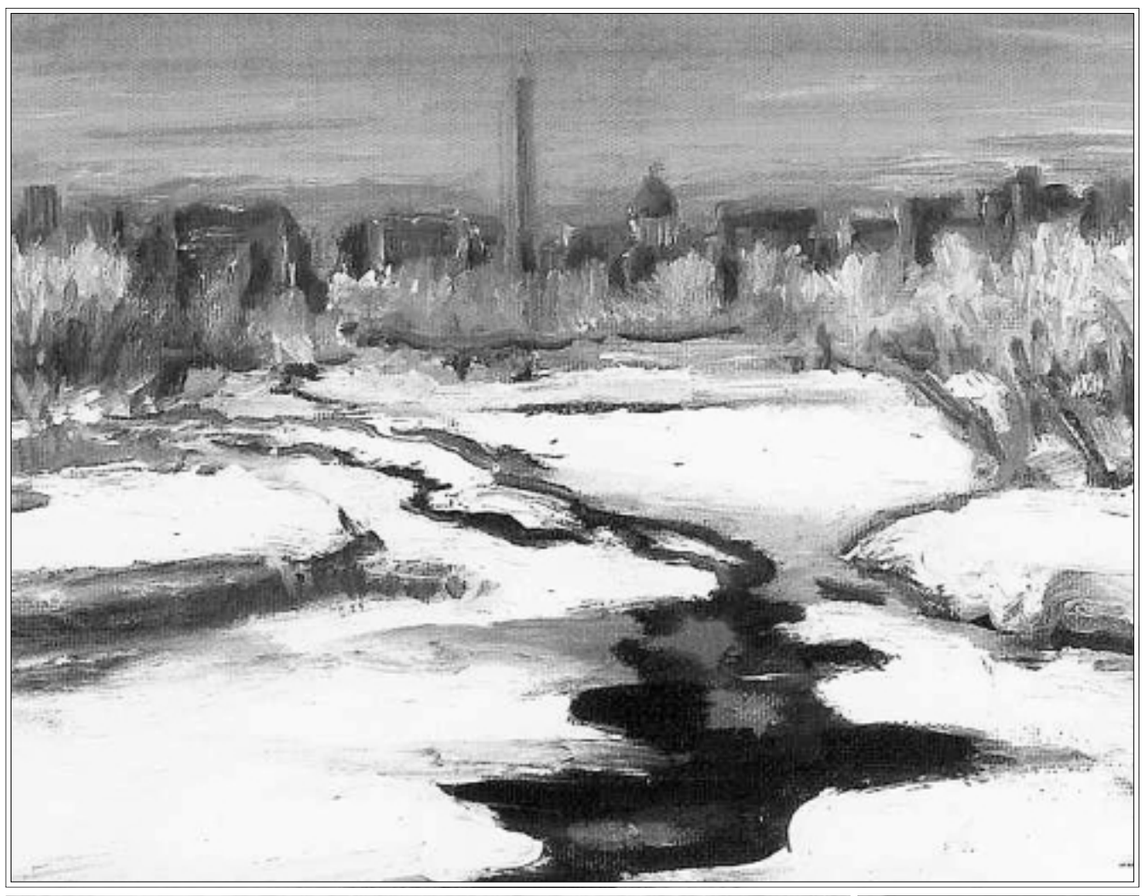

ديانا حجار شمعونكي (القدس العربي)

لوحتان للفنانة (القدس العربي)

أما عن رسمها للبيئة المحلية فتضيف «أتأثر بالبيئة المحلية التي أحبها، يسعدني النظر والتمعن بالوجوه المعبرة من حولي والبساطة الجمالية التي تغذي إنتاجي، أحب الألوان الشرقية الدافئة، لخدمة المضمون، وكذلك ألوان عصر النهضة، أقدم الدفء للظل والنور والإيقاع الموسيقي للألوان هذا بالإضافة إلى ضربات الفرشاة والسكين القوية السريعة والمعبرة.

أتفاعل أيضا مع الطبيعة الصامتة وأسجل ما حولي بلوحات صغيرة أو كبيرة، اللوحة عندي كأشعار الغزل وأرسم ضمنها مواضيع كبيرة كالقلاع والمدن كنوع من التحدي وإذا كنت في لوحاتي قد رسمت الوجوه الأردنية والفلسطينية والأماكن والساحات فلأني أتأثر بالبيئة وأتفاعل معها وأعشقها، ولعل أشد ما يسعدني هو النظر والتمعن بالوجوه المعبرة من حولي، كل لوحة من لوحاتي تحكي حكاية أو حلما أو رمزا يسجل اللحظة، عمان والقدس أرسمهما في كل الأجواء، ولهما مكانة خاصة في قلبي، وأحب رسم المدن الشرقية المحببة.

أرسم اللوحة بحب وصدق لا أرسم لهدف مادي، وأنا أرسم كل لوحة لأني أتفاعل معها، أرسم إما بسرعة أو تأخذ وقتا طويلا، المهم أن أعرف متى تكتمل، وبالطبع فإن التحدي يجعلني أستمر. وبخصوص إقامتي في أمريكا فقد أتاحت لي المجال أن أتمعن وأقدر الجمال الذي في بلادي، وأنظر بعين الفنان من عدة زوايا أخرى لرسم لوحاتي، والواني، هذا بالإضافة إلى اغناء الثقافة العامة والفنية المحلية والعالمية والاطلاع على مختلف الحضارات القديمة والجديدة التي ساعدت في تطوير الحس والحدس وآفاق الفن».

يقول الناقد محمد أبو زريق عن تجربة ديانا حجار في كتابه المشترك مع أحمد الكواملة «بانوراما الفن التشكيلي في الأردن» إن تجربتها التشكيلية الطويلة ومنذ منتصف الستينيات قد نقلت أعمالها من حدود البساطة إلى البساطة ذاتها، وهي تجربة متصلة من حيث تركيزها على رسوم الأزهار والشعبيات بإحساس انطباعي وتأثيري، ولكنه ذو خصوصية مميزة، إن ديانا ترسم الواقع لكنها لا ترسم ما تراه بشكل فوتوغرافي بل تقوم بعملية تبسيط دون إسفاف أو تشويه، وتحافظ على حياة الشكل وألفته وتبقي على الصلة الحميمة بالموضوع، ومع ذلك فإن لديها توجها نحو تطوير مواضيعها وذلك نحو التقنية اللونية المتطورة من حيث ضربات الفرشاة العريضة والصريحة أحيانا، أو من خلال تنويعاتها في المواضيع، وحيث دخل المعمار إلى أعمالها في معالجات تلخيصية مستبعدة كل ما هو ثانوي، مركزة على الجوهر الفاعل في التكوين..».

بقي أن أشير إلى أن معرض الفنانة ديانا شمعونكي الذي انطلق يوم الخامس من شهر شباط (فبراير) الجاري سيستمر حتى التاسع عشر منه، وهو يضم ستين لوحة تمثل تجربتها الغنية، وتنوعها عبر أربعين سنة من الإبداع.

العرب والفلسفة: أو إشكال الإبداع الفلسفي

بشير مفتي*

■ بقيت الفلسفة في العالم العربي مشروعا ناقصا، إذا استعرنا عنوان الدراسة الفلسفية الهامة لهبرماس «الحداثة مشروع غير مكتمل» وبقيت العلاقة التي ينتجها الوعي الفكري العربي وحتى المخيال الجماعي مرتبطة بالتعارض السلبي مع الفكر الديني والعقل الفقهي، وبالرغم من وجود تراث فلسفي، لنقل أننا ندين به لبعض الفلاسفة العرب في مرحلة تاريخية معينة، وكان نتاج تفاعلهم مع الفلسفة اليونانية بالخصوص، فإن هذا التراث الذي شهد مقتله، مع محنة ابن رشد الكبرى، وهزيمة العقل وانتصار الخطاب الديني في تفسيره الحرفي للنص القدسي، بقيت الفلسفة شبه غائبة، ومغيبة، لا يعول عليها بأي شكل من الأشكال، ولا بأي صورة من الصور، فلم يكن هناك تطور للفكر الفلسفي، وكانت قيمة العرب كما يذكر المؤرخون ذلك، أنهم حافظوا على التراث الفلسفي اليوناني، ونقلوه للعربية، حتى سقوط الحضارة الإسلامية وانبعاث الفلسفة من جديد على يد الفلاسفة الأوروبيين، الذين استعادوا علاقتهم بالتجربة الفلسفية من خلال توطيد علاقة مع تراثهم اليوناني، وكانت أسس النهضة الأوروبية مرتبطة بالتصورات النظرية والفكرية السياسية التي أنجزها فلاسفة اليونان في تاريخهم البعيد ذاك. كمفاهيم تبلورت وتأسست ونضجت وقطفت ثمارها، مثل الديمقراطية والمدينة، والنظم السياسية، والعقل، وغيرها.. فحدث توعٍ بالقضايا الجوهرية وانطلقت الفلسفة تؤسس لنفسها ضمن نهضتها الجديدة وعيا مختلفا ترابط مع الإشكاليات التي كان يطرحها سياق النهوض الغربي بشكل عام، فتم التأسيس للعقلانية مع ديكارت وكنط، والتاريخية مع هيغل، وروح الشرائع مع مونتيسكو والعقد الاجتماعي مع روسو.. فيما دخل العالم الإسلامي في سبات طويل، وانغلاق شديد. لتعود العلاقة مع الفلسفة من خلال ما سمي بعصر النهضة العربية، هذه التسمية التي تحتاج اليوم ربما إلى مراجعة وتمحيص، والتي تساوقت مع عودة الاستعمار أو ما عرف بغزوة نابليون لمصر، وما سمي بصدمة الحداثة فيما بعد من طرف أدونيس، فهذه الصدمة خلقت أسئلة جديدة مرتبطة بالتأخر والتقدم، وبأسباب ضعفنا وتدهور حضارتنا، ورقي حضارة الغرب، وهذا التفكير قاد إلى طلب المعرفة عند الآخر، وحتى الاستنجاد بخطابه الفكري والمعرفي، وعرفت النخبة العربية على الأقل، أن الغرب لم يتطور بالصدفة ولكن كان وراء ذلك تراكم معرفي وفلسفي أنتج مفاهيم وقيم كثيرة ساعدته على وعي ذاته وتطوير أدواته، وتحقيق حداثته الفعلية، ولكن اكتشاف ذلك لم يكن، نتاج ثقل سياق التخلف والانحطاط بالقادر على بعث الفلسفة بالشكل المرغوب فيه، فالنخبة العربية عادت من جديد لعملية التثاقف المشوه الذي يعتمد على التقليد والنقل، أكثر مما يعتمد على التحليل والنقد، حتى لا أقول الابتكار والخلق. فصدمة الحداثة، لم تخلق فلسفة عربية جديدة ولكن محاولات للاستيراد وتقديم تلك البضائع الرمزية مبتورة عن سياق مولدها، وظروف نشأتها، وأهدافها العملية والنظرية الحقيقية.

من الصدمة إلى التبشير

بالرغم من أن الصدمة مع الغرب كانت مولدة لرغبة في النهوض، وبحث عن التفوق، أو مسايرة التحول العالمي عند النخبة المثقفة بشكل خاص، والتي يجب الاعتراف بأنها كانت قليلة نسبيا من حيث العدد، وحتى من خلال هذه الرغبات، فإنها أيضا ولدت نوعا من الاستسلام لما أنجز في الغرب، ونوعا من الاتكالية على العقل الغربي، وبالتالي كان العمل السائد هو تقديم ما أنجزه الغرب في هذا المجال متصورين أنه عبر هذه العملية فقط قد تحدث النهضة السريعة، وردم الهوة بيننا وبينهم، بمعنى أن فكرة الإبداع لم تكن لتخطر على بال أحدهم على الإطلاق، فهو شأن آخر، أو مشروع مؤجل، ولهذا ساد التبشير بالمفاهيم الفلسفية الغربية على إعادة صياغتها بالتساؤلات التي كان من المفروض أن تطرح من خلال الواقع العربي، وهي الرهانات التي غابت عن عقل النهضة العربية، بسبب تخلف السياق، وتراكم ثقافة الانحطاط التي استمرت قرونا بأكملها، وأيضا السلطة الدينية التي فرضت نوعا من الوصاية، والرقابة، وورثت الأحكام السلبية التقليدية من الفلسفة والفلاسفة. لقد أدى ذلك كله إلى ظهور ناقلين ومبشرين كبار بمختلف التيارات الفلسفية الغربية بعدها، وأصبحوا يعرفون بها وعبرها «عبد الرحمن بدوي ـ الوجودية»، «عثمان أمين ـ الديكارتية»، «الحبابي ـ الشخصانية»، «زكي نجيب محمود ـ العقلانية» وهؤلاء عندما أدركوا أنهم لا يبدعون ذاتهم ولكن يعيدون كتابة فلسفة غيرهم سقطوا في عملية تبيئة لهذه الفلسفة المستوردة، وبدأنا نسمع بوجودية إسلامية، وشخصانية إسلامية..أو إلى نوع من التوفيقية المزيفة بين التراث الديني، وهذه الفلسفة، وكانت صدمة الواقع العربي بالنسبة للنخبة المثقفة التي درس معظمها في الغرب، وعاد منبهرا ومتلهفا على نشر تلك الفلسفة، هي صدمة الواقع العربي/الإسلامي المتحجر، والذي إلى جانب تخلف نظم حكمه السياسية، كان يحكمه مشايخ الدين، وفقهاء المؤسسات الدينية، وهم مستعدون لتكفير أي مشروع ينادي بموقف من الميتافيزيقا كما كتب زكي محمود، أو استخدام منهج الشك الديكارتي عند طه حسين. وهذا ما كان يجعل معركة إنوجاد الفلسفة كشكل نقدي وابتكاري أمرا بعيد المنال، فاكتفوا بالنقل والترجمة والتبشير. وإلى غاية اليوم لا يزال إشكال النقل والتبشير والتهليل لكل ما يصدر في الغرب قائما ومستمرا، نتاج الحاجة إلى ذلك طبعا، ولكن لأنه أيضا لم يتم تحقيق خطاب فلسفي قائم بذاته، خطاب له مسوغاته الداخلية الخاصة به، تتساوق مع الإشكالات التي تطرح على بيئتنا ووعينا وتفكيرنا اليوم.

مفكرون أم فلاسفة

لا يستطيع ألمع المفكرين العرب اليوم أن يطلقوا على أنفسهم تسمية فلاسفة، وهم في غالب الأحيان يتجنبون ذلك، بالرغم من أنهم يحاولون موضعة أنفسهم في سياق الفلسفة العربية المعاصرة، ويسعون لمماثلة مشاريعهم مع أطروحات فلاسفة غربيين كبار، فمحمد أركون مثلا في مشروعه لنقد العقل الديني، أو محمد عابد الجابري يتماثلون في عملهم مع ما قام به إيمانويل كانط في نقد العقل الخالص، وعبد الله العروي في فكره التاريخي مع ما قدمه هيغل بشكل خاص، وحسن حنفي مع فينومونولوجية هوسرل بصورة محايثة، أي أنهم يماثلون فلاسفة غربيين لكنهم لا يتجرأون على الادعاء بأنهم فلاسفة فهم يعتبرون أنفسهم باحثين في الفلسفة، أو مفكرين كما يطلق عليهم ذلك في أدبيات الفكر العربي، وأظن أن السبب يعود بشكل خاص، إلى أن أدواتهم المنهجية والإجرائية هي أدوات الفلسفة الغربية، وأن المفاهيم التي يشتغلون عليها هي من إبداع العقل الفلسفي الغربي، وبالتالي هم أيضا يطبقون هذه المنهجيات المستوردة، من دون أن نقول إن هناك عيبا في أمر كهذا، على مجال تفكيرهم، والذي انحصر في العقود الأخيرة، على مسألة «التراث» بشكل خاص، كما لو أن الإشكال الفلسفي الأول هو التراث، والحق أن المسألة لا تعود فقط إلى كل التراث ولكن إلى النقطة الجوهرية فيه، والمتمثلة في الدين بشكل دقيق، ومحوري.

هل يعني ذلك أن «الدين» لا يزال العقبة الأساسية أمام نشوء الفلسفة وتبلورها وتشكلها كخطاب فاعل في الثقافة العربية، أم في غياب جرأة الفكر الفلسفي العربي، وعدم قدرته على خلق قطائع تاريخية ومعرفية، تجعله قادرا على تحييد أي سلطة غير سلطة العقل والفكر الحر؟ إنه سؤال مشروع يمكن أن يبحث فيه أهل الفلسفة في العالم العربي، بالرغم من وجود عقبات كثيرة في مسألة القطيعة هاته التي لم تتحقق بعد، ولم تجد مناخا صحيا ملائما يساعد على بلورتها، صحيح أن الماركسيين العرب في سياق تاريخي معين، حاولوا فعل ذلك، ولكن كان الأمر أشبه ما يكون بالعدوان الإيديولوجي السافر، غير المقنع بتاتا، وكان كل ما فعله هؤلاء أن أسسوا خطابا دعائيا ضد الدين، سيتلاشى ويندثر بسرعة، بعد زوال مسوغاته الإيديولوجية تلك، وسيزيد من تمتين شرعية الديني، وحتى من تفوقه الميداني على أرض الواقع.

فلسفة عربية، أم فلسفة عالمية

هل تحتاج الفلسفة إلى تصنيف هويتها حتى تستطيع أن توجد؟ إنه السؤال الذي يطرح عند بعض المثقفين العرب، الذين يريدون التحرر من إضافة «العربية» للفلسفة، بمعنى، أن على من يشتغلون في الفلسفة والفكر أن ينخرطوا في خطاب العالمية، فالفلسفة خطاب للجميع، وليس لأمة من الأمم، أو شعب من الشعوب، وبالتالي فهي تقتضي الخروج من الحيز الجغرافي، والدخول في المنطق العام والعالمي، وهي تريد خاصة أن تنشغل بما يقترحه الوضع الكوكبي، خاصة في ظل سياق العولمة والكونية اليوم، وسقوط الحدود الجغرافية التي لم تعد تفصلنا عن الغرب كما كانت من قبل، تبعد المسافات، وتجمرك الأفكار قبل أن تصل، فالتحول العام وتطور تكنولوجيا الإعلام، وما يعرف بالوسائط والاقتصاد الرمزي، تخلق ما يسمى بالقرية الكونية الصغيرة، ونظرة مختلفة للعالم، فلم تعد الهوية القومية تنفع كثيرا في صناعة خطاب فلسفي جديد، وبالرغم من إغراء هذا النوع من الخطاب، الذي ربما يمثله خير تمثيل المفكر اللبناني علي حرب، إلا أنه يظل في كثير من جوانبه، ادعاء مزيفا، فانخراطنا في المشهد العالمي، دون تحقيق تراكم معرفي حقيقي، ودون أن نصل إلى ما اسماه دولوز بإنتاج المفاهيم، يظل حلما بعيد المنال، وتثبت تجربة علي حرب نفسه، والذي بالرغم من تحمسه الفكري لهذا التوجه، يبقى تفكيره محليا بالرغم من اشتغاله على مختلف القضايا المعاصرة في كتبه الأخيرة «حديث النهايات» و«الأختام والأصول» الخ، فهو عاد فجأة إلى القضايا العربية من جديد في «أزمنة الحداثة الفائقة» لمناقشة مسائل كالإصلاح وغيرها..

ومع ذلك ربما يكون الخيار اليوم، هو في هذا المذهب بالذات، ولا بد من الاندماج في المجرى العام للفلسفة الغربية، ولكن بتنوع نقدي، وتحاور معرفي مسؤول، وانطلاقا من سياق تاريخي، تحكمه إرادة تقليدية ومحافظة، وسياسات عرجاء، ويصبح أفق الإبداع رهانا محتوما إن كانت هناك طموحات فعلية لتجاوز عدد كبير من مآزقنا الراهنة.

الفلسفة ورهاناتها

إن الخطاب الفلسفي يطمح إلى توليد فكر نقدي حر، وتوسيع مجالات اللغة كما يقول بول ريكور، وهذا يعني مناخا من الديمقراطية والمدنية التي تسمح بنشأته وتقبله، فللفلسفة علاقة جوهرية بالنقد والحرية وبسياق المدينة، ونحن في العالم العربي، ما زالت المدينة غائبة عن وجودنا ليس بالمعنى المادي كحيز حضري، ولكن بالمعنى الفلسفي، والسياسي، ولا يزال مناخ الاستبداد والتسلط مسلطا على رقاب العباد والمفكرين، ولهذا تنشأ الحاجة إلى الفلسفة كخيار لإعادة النظر في الوضع الكارثي الذي نعيشه، في ربطها بالأسئلة الجوهرية التي تفكر من المعيش اليومي إلى القيم الأخلاقية والفلسفية الكبرى، كالخير والشر، وحرية الإنسان. إننا بحاجة ماسة لتراكم الإنتاج الفلسفي، وإلى دمج للفلسفة في الشأن العام، ليس فقط كما قال ماركس، بإنزالها من السماء إلى الأرض، ولكن بجعلها مولدة لوعي حضري، وأخلاقي وإنساني جديد، ومن هذا المنظور، فإن الفلسفة العربية ستوجد بفعل قدرتها على ربط خيوط الفكر من جديد بالسياق والواقع، ودفعها إلى أن تمتحن قيمتها البراغماتية في التفاعل مع الأسئلة الواقعية، وإنتاج مفاهيم مرتبطة بالتاريخ والراهن والمستقبل.

* ناقد من الجزائر

الشهيد المجهول

إدريس الملياني*

إن بني عَوف، ابتنوا حسباً
ضيعه الدُّخْلُلون،إذ غدروا
ثياب بني عوف، طَهارى، نقيةٌ
وأوجههم عند المشاهد غُرّانُ
امرؤ القيس

لا تُمَخْزِن
ولو قيل ما قيل باسم الوطنْ
لا تمخزن
ولو وعدوك بجنة عدْن
لا تمخزن
فإن جراح الملايين،
أعمق من أن تداوىَ
بعشر وصايا
وعُسر الحقن
لا تمخزن
رهاني الأخيرَ، الأغرّ،
الذي لا يُغرّ ولا يطمئن
بإفتاء من يقبضون
عليه الثمن
كما كان سوف يكون
وهل نحن إلا ضحية
ما يتكرر دوماً
وينسى سريعاً
ويقلب ظهر المِجنّ
لا تمخزن
وإن كان لا بد من أي شيء
لحقن الدماء
وإطفاء نار الفتن
فلتكن أنت مشعلها
ثورةً، حرةً
في عبيد الوثن
لا تمخزن
وإن كان لا بد من
طيّ صفحة ما ليس يطوى
بجبر هزيل وصبر ذليل
فكن أنت فاتحها
أبد الدهر حتى قيامة
روح الضحايا التي
لا تزال تئنّ
في قبور جماعية،
تملأ الرحبَ،
تحت تراب المطافئ،
لا ماء يخمد نيران غلّتها
أو غطاء يقيها من البرد
غير بقايا كفن
لا تمخزن
كمن مخزنوا الماركسية، والدينَ،
من أجل تعمية التلفزيون
والبرلمان، المهان
وغنوا مع العندليب
على النغمة المغربيّة،
في جلسات السماعَ
ـ «المااالُ
والحضرةُ
والوجه الحسن»!
لا تمخزن
كما مخزن الدُّخْلُلون
..... « ترى الفتيان كالنّخلِ
..... وما يدريك بالدّخلِ»
كلهم دخلوا
الدّخللون الرفاق
كلهم نهلوا
من شراب الرّضاب الضرّوس الحرُاق
كلهم أكلوا
من طعام المقام المَسوس المذاق
الدخللون الرفاق
كل إيمانهم، مثل أيمانهم، ليس
غير نفاق
كلهم دَخَلٌ دَغَلٌ
..... « وأخو الوجهين
حيث رمى
..... بهواه فهو مدخولُ»
حشوةٌ في بطون السراجين
أو فخذ ابن كلاب
فصلّوا لحم كل شهيد وكل مصاب
على قدر أهل الوعيد وآل العذاب
لشرْعنة القتل دون عقاب
فاعلمن !
لا تمخزن
وفاء لذكرى حبيب..
ودرب الشريف، فدار، بأنفا، تطل على
البحرِ،
بين المنارة فالعنْق، حمراء، فامش
الهويني،
فإيكدرَ، صار لها متحفٌ للجماجم أم
للملاحم، إسطبلُ مدرسة، للأساتيذ أم للتلاميذ،
لكنه غير طلق الهواء، ومشفى، يلوح ، بقايا،
كوشم على ظاهر اليد، أحمر، مثل شقائق نعمان
قلعة مكّونة، الوردُ عيدٌ، ولم يتوصل شهيدٌ بأية
ريحانة، أو يرشّ على قبره أحدٌ قطرة من دموع،
سوى مّا يجود به، بين حين وآخر، خدّ
السماء،على روضة الشهداء، ابن بركة عبد
العزيز بلال بن جلون، ممن سيأتون، فجر غد،
بالقصاص لكل ضحايا الرصاص، الذين
يهيمون، ما بين عشرين ألف ملفّ كطير الصدى،
يستغيثون، دون رفات ولا اسم ولا صلوات، ولا
شيء،لا
عدلَ إلا
مدافنَ مجهولة
وشواهدَ، شبهَ
شواهد، قيل، افتراضيةً،
للزيارة،
من سوف يأتي لمن،
يا لها من هُوية ذاكرة،
بعد أكثر من نصف قرْن،
غدت أثراً دون عينْ.
لا تمخزن إذن
وإذا لم تجد
من سبيل إلى أي شيء
سوى شمّ أو لثم ذيل الضباع
الكريه النتن
فلتعش حافياً مثل بِشْرْ
تأبط نعليه يوماً
وهام على وجهه
في خيام المدن
صارخاً
لا تمخزن
خريطة هذا الوطن
لا تمخزن
خريطة هذا الوطن !..

* شاعر من المغرب